علاقة اللغة الفارسية باللغة العربية

د. عبد النبي القيّم

تعتبر اللغة العربية المكون الرئيسي للغة الفارسية واحد ركائزها الهامة وقد اصبحت ومنذ أن اعتنق الفرس الإسلام اللغة الرسمية السائدة في بلادهم. و بمرور الوقت اندثرت اللغة «الفارسية البهلوية» أو « اللغة الفارسية الوسطى» وحلت محلها اللغة العربية في جميع المراسلات و الكتابات. و مع أنّ اللغة البهلوية لم تندثر بين ليلة و ضحاها ، لكن الأمر الجلي و الواضح أن اللغة العربية احتلت مكانة مرموقة و ممتازة عند الفرس وأصبحت لغتهم الأدبية و العلمية ، و شرع الكتّاب الفرس يؤلفون الكتب باللغة العربية وقاموا بترجمة الكثيرمن الكتب من اللغة البهلوية إلي اللغة العربية. وبذلك ازدادت مكانة اللغة العربية و دخلت مفرداتها الكلام الفارسي البهلوي أكثر فأكثر.

استمرت هذه الحالة لأكثر من ثلاث قرون و تحديداً في القرن الرابع الهجري و نتيجةً لتأثير اللغة العربية على اللغة الفارسية، تحولت اللغة الفارسية البهلوية إلى لغة أخرى و ظهرت لغة جديدة و التي عرفت فيما بعد باللغة « الفارسية الدريّة» وهي تتميز عن الفارسية البهلوية كونها متأثرة الى حد كبير باللغة العربية واصبحت الفارسية مزيج من االلغة االبهلوية واللغة العربية وقد تكونت بداية هذه اللغة لأول مرة في بلاد خراسان و امتدت من تلك البقعة إلى المناطق الايرانية الأخري، ولعل أول من نظم أشعاراً بهذه اللغة هما كلاً من: شهيد البلخي و رودكي السمرقندي و أبو شكور البلخي و دقيقي و فردوسي . حيث نظم هؤلاء الشعراء أشعارهم بلغة جديدة تختلف عن اللغة البهلوية، بمعنى أنه في هذه الحقبة تغيّرت الكتابة الفارسية من الخط البهلوي إلى الخط الفارسي الحالي و بدأوا شعراء الفرس الكتابة بخط جديد يختلف عن الخط البهلوي القديم وهذا الخط أيضاً كان خطاً عربياً أي كتابة الفارسية بخط عربي و حسب رأي ريتشارد فراي أن أول من أبدع في هذا الخط كان الشاعر رودكي السمرقندي و بقي الخط الفارسي من القرن الرابع إلى يومنا هذا خطا فارسيا، كما بقيت اللغة الفارسية الممزوجة باللغة العربية لغة الفرس.

إن مصطلح «زبان فارسي» أي « اللغة الفارسية» الذي يتداول حالياً عند الفرس متأثر باللغة العربية الى حد كبيرحيث كان الفرس يطلقون على هذا المصطلح قبل الإسلام ب» زبان پارسي» و يكتب بالحرف «پ» ذو ثلاث نقاط و يعادل حرف «P» الانجليزي و بما أنه لا يوجد في اللغة العربية حرف «پ» و العرب ينطقون هذا الحرف بال«فاء» تغير و تحول پارسي إلي «فارسي» و اليوم الفرس يستعملون مفردة فارسي في الكتابة و المحاورة والتي هي معربة لمفردة «پارسي».

فبالرغم من إبداع الخط الفارسي الجديد بمعنى كتابة الفارسية بخط عربي ، فإن اللغة العربية بقيت اللغة السائدة و العلمية و الأدبية عند الكتّاب و الأدباء الفرس، والملحوظ أن مع هذا التطور ازداد يوماً بعد يوم استخدام المفردات و المصطلاحات والكلمات العربية في اللغةالفارسية ،بحيث ارتفعت نسبة المفردات العربية في اللغة الفارسية من ثلاثين بالمئة في القرن الرابع الهجري إلى خمسين بالمئة في القرن السادس الهجري. و الملفت للنظر أن الشاعر الفارسي ابوالقاسم الفردوسي و الذي يتسم شعره بكراهيته وازدرائه للعرب، حينما أخذ على عاتقه إزالة المفردة العربية من شعره و بدأ بنظم ملحمته المعروفة به « الشاهنامه» أي» كتاب الملوك» و اقتبس قصصه و حكاياته و أشعاره من ملحمة اخرى هي»شاهنامه» أبو منصوري إلا أنه لم يفلح في هذا الأمر واضطر الى استخدام المفردات العربية في أشعاره حتى وصل عددها في ملحمته إلى ما يقارب ألف مفردة عربية.

أضاف الفرس أربعة أحرف إلى الحروف العربية وأصبح عدد الحروف الأبجدية الفارسية ٣٢ حرفاً وهذه الأحرف هي: (پ،چ،□،□) وتنطق على النحو التالي:»پ» ينطق مثل ال(P)

الإنجليزي و المثال على ذلك مفردة «پاريس» أي عاصمة فرنسة، أما حرف «چ» ينطق مثل الCh)) الإنجليزي مثل مفردة «چارلي چاپلين»، و يلفظ حرف «□» تقريباً كحرف « الجيم في الفرنسية، أما «□» ينطق مثل حرف ال(G) الإنجليزي مثل مفردةGood .

إن جل مؤلفات الفرس في القرون الماضية و لاسيما في القرون الأولية للهجرة كتبت باللغة العربية، لهذا السبب لا يمكن معرفة الموروث الثقافي وخاصة الموروث الأدبي للفرس إلا من خلال إتقان اللغة العربية. بالإضافة إلى ذلك فإن اللغة الفارسية كانت و لاتزال مليئة ومشحونه بمفردات عربية أو مفردات ذات جذور عربية ولا يستطيع المرء قراءة هذه الكتب و القصص والنصوص مالم يتقن العربية . إن معرفة الأدب الفارسي وقراءته و سبر أغواره والقطف من ثماره إلا من خلال اللغة العربية، إذاً لاغرابة إذا ما شاهدنا أساتذة أدب اللغة الفارسيه في إيران يجيدون اللغة العربية والبعض منهم يتكلم هده اللغة بطلاقة.

بعد قيام ثورة الدستور في عام ١٩٠٧ ظهرت إتجاهات جديدة عند القوميين الفرس و تمثلت بنزعة ازدراء اللغة العربية وبمعاداة العرب والاسلام وكذلك تنقية اللغة الفارسية من المفردات العربية ،و بعد وصول « رضاخان» إلى سدة الحكم في عام ١٩٢١.م ازدادت ذروة هذه النزعة القومية الشوفينية وعلى هذا الأساس طلب رضاخان في عام ١٩٣٣من دار المعلمين العليا أن تتولى مهام استبدال المفردات العربية بمفردات فارسية و بما أن دار المعلمين لم تنجح في هذه المهمة وعجزت حتى من وضع مفردات فارسية مكان إسمها العربي أي «دار المعلمين عالي»، أسسوا «فرهن□ستان ايران» أي « مجمع اللغة الايرانية» في عام ١٩٣٦ خصيصاً لإيجاد المفردات الفارسية لتحل محل المفردات العربية ، في هذه الفترة نجحت المؤسسة الجديده في خلق بعض مفردات جديدة والتي لم تكن موجودة في اللغة الفارسيه من ذي قبل ، وعلى هذا الاساس تم تغيير الكثير من الاسماء مثل بلدية ، عدلية، نظمية ،أمنية ،عسكر وغيرها إلى أسماء فارسية.وبالرغم من نجاح المجمع بابتداع بعض المفردات الفارسيه ، لكنه نظراً لعجز اللغة الفارسيه وافتقارها الشديد للتعبير عن مختلف الحالات والمشاعر والأحاسيس ، لم يستطع هذا المجمع خلق وإبداع مفردات ومصطلحات علمية وأدبية فارسية لتحل محل المفردات العربية و بقيت الغالبية العظمى من المفردات الأدبية و العلمية المتداولة في اللغة الفارسية مفردات عربية ، هذا إلى جانب الكثير من المفردات العربية المتجذرة اساسا في اللغة الفارسية.

إن المفردات العربية المتواجدة في اللغة الفارسيه تعبر عن فصاحة الكلام و بلاغته في الكتابة الفارسية و إذا أراد المرء أن يكتب بفصاحة و بلاغة لابد له من أن يستعمل المفردات العربية. لهذا السبب نرى أنه رغم اختلاق بعض المفردات الفارسية من قبل مجمع اللغة الفارسية إلا أن بعض المفردات لم تنل استحساناً عند الكتّاب والأدباء وفئات الشعب، ناهيك عن عجز المجمع عن خلق المفردات القانونية و بقيت المفردات العربية في علم القانون متداولة ورائجة الى يومنا هذا . و ذلك رغم الجهود الحثيثة التي بذلتها الأوساط الرسمية و المحافل الثقافية الايرانية لتطهير اللغة الفارسية من مفردات اللغة العربية والنجاح النسبي الذي رافق ذلك لكنه في المحصلة كان الفشل نصيب هذه المحاولات بحيث باتت بعض المفردات الفارسية التي حلت محل العربية موضع سخرية و إستهجان من قبل الأوساط الأدبية الايرانية . و المفارقة العجيبة أن رغم تلك المحاولات الرسمية ومحاولات الكثير من الكتّاب و الأدباء الفرس لمحو المفردات العربية من اللغة الفارسية إلا أن عدد المفردات العربية في اللغة الفارسية ازداد و خلال القرن الماضي حتى وصل إلى أكثر من ١٥٠٠ مفردة .

أما على صعيد المنهاج التعليمي فكانت اللغة العربية في عهد نظام الشاه تدرس كمادة دراسية إلى جانب باقي المواد وذلك في السنوات الثلاث الأولى من التعليم الثانوي، أما التعليم فقد كان برمته باللغة الفارسية، ماعدا طالب الفرع الأدبي فإنه يبقى مستمراً في دراسة العربية ثلاث سنوات أخرى الى أن يصل نهاية المرحلة الثانوية . بما أن نظام الشاه كان معادياً للعرب والإسلام فإن تعليم العربية في عهد الشاه كان تعليماً شكلياً و ضعيفاً جداً. وبعد سقوط النظام الملكي تغيّر المنهاج التعليمي وبالرغم من أن اللغة

العربية بقيت كمادة دراسية مثل اللغة الإنجليزية لكن مكانتها ارتقت وامتد تدرسيها من المرحلة الأولى إلى ختام المرحلة الثانوية وإلزام الطالب عند دخول الجامعات الايرانية بإمتحان اللغة العربية إلى جانب اللغة الفارسية والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها. وبذلك ضمت الكثير من الجامعات الايرانية فرع اللغة العربية في مرحلة البكالوريس والماجستير والدكتوراه. كما ازداد عدد المفردات العربية التي لم تكن من ذي قبل في الكتب والجرائد الفارسية لا علي صعيد الرسمي في الإذاعة و التلفاز فحسب ،بل على الصعيد الشعبي ايضا، على سبيل المثال و لا الحصر مثل : عزاء دعاء بيت، بعثت،استصواب، همام ، سبط، مجلس ، قوه مقننه ، قوه اجراية(السلطات الثلاث،التشريع ، التنفيذ ،القضاء) .وغيرها الكثير من المفردات العربية التي لا تعد ولا تحصى.